**عيسى الناعوري**

الأستاذ الدكتور عبدالحميد الفلاح

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

عيسى الناعوري ينتمي إلى أسرة الدبابنة في السلط، ولد في قرية ناعور سنة 1918م، وإليها ينسب، غير أن المحامي سليم الصويص ابن خالته يقول: إنه ولد في بلدة الفحيص، معتمداً في ذلك على نصّ للناعوري في مذكراته التي لم تنشر، يقول فيه)) :أما المكان الذي ولدت فيه فهو قرية الفحيص على جبل الرهوة أيام المساطيح، وأمي فحيصية من عشيرة الصويصات((. ويمكن التوفيق بين القولين أن أمه كانت في زيارة لأهلها في الفحيص، فأجاءها المخاض، فولدته، وعادت به إلى بيتها ومسكنها في ناعور.

كانت طفولته قاسية ومأساوية كما جسّدها في كتابه "الشريط الأسود"، حيث يقول: ((أنا إنسان قُدِّر عليه في طراوة السِّن أن يحطم الصخر، ويفتت الحديد بيديه وحدهما؛ لكي يستخرج منها ما يأكل وما يشرب، وما يلبس، وكم من أيام مرت بي حسدت فيها المتسولين لأنهم لا يجوعون)).

وفي شهادة للدكتور شوقي ضيف أنه عاش طفولة تعسة، مرّة كالحنظل تجرّعها غصصاً في أسمال بالية، ولكنه استطاع بإرادته الصارمة الحازمة أن يقلّم مخالب البؤس التي كانت تطبق على عنقه.

يؤكد الأستاذ عيسى الناعوري هذه الإرادة القوية، والثقة بالنفس والعزم والتصميم في مغالبة الصعاب، وتحقيق الآمال بقوله: ((كانت تعزيتي الوحيدة، وأنا أشق طريقي من الحضيض بكل مرارة راضياً بالسير على المسامير الملتهبة والشوك، هو أنني كنت واثقاً أنني سأحقق إنسانيتي الكريمة بجدارة)).

في هذه الظروف الصعبة والقاسية درس الناعوري الابتدائية في القرية، وفي الحادية عشرة من عمره أرسل إلى مدرسة داخلية في القدس تعدّ الكهنة، وأمضى فيها أربع سنوات ثم تركها، وعاد إلى قريته، ثم عاد ثانية إلى القدس يبحث عن عمل يخلصه من الفقر والحرمان.

عشق الناعوري العربية، وأحبّها أيّما حب، فدرّسها خمس عشرة سنة في مدرسة الساليزيان ثم في مدرسة اللاتين في رام الله، ثم تراسنطة في القدس، وعمل بعدها سكرتيراً ومفتشاً لإدارة مدارس الاتحاد الكاثوليكي في الأردن من 1949م إلى 1952م، ثم موظفاً في وزارة التربية والتعليم من 1954م إلى 1975م، حيث استقال، وأسندت إليه وظيفة منشئ أثناء عمله في الوزارة، ليصوّب ما يعتور مراسلاتها من عيوب لغوية وأسلوبية، ويرتقي بها إلى ما كانت عليه لغة الدواوين في القديم من فصاحة وبيان.

وفي عام 1961م أنشأت وزارة التربية والتعليم اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، وعهدت إليه بأمانة سرّها، وهي اللجنة التي انبثقت عنها فكرة تأسيس مجمع اللغة العربية الأردني سنة 1976م، وكان أحد الأعضاء العاملين والمؤسسين للمجمع، وتقلّد منصب الأمين العام للمجمع بتاريخ 2/10/1976م، وبقي يشغل هذا المنصب حتى استقال في نهاية أيلول 1985م، وسافر بعدها للمشاركة بمرور ثلاثين عاماً على إصدار مجلة الفكر التونسية التي كانت له مشاركات في كثير من أعدادها، وأصيب بنوبة قلبية عصر اليوم الثالث من تشرين الأول 1985م، وتوفي والقلم بيده، وهو يعدّ المحاضرة التي سيلقيها في هذا اليوم.

كان عيسى الناعوري عصاميّاً، بكل ما تعنيه هذه الكلمة، درس الأدب العربي شعره، ونثره في مظانه على نفسه، وتعمّق فيه، وتعلّم اللغة الإيطالية والإنجليزية على نفسه أيضاً، وأتقنهما، ودرس اللاتينية أربع سنوات، واليونانية سنتين، دراسة نظامية، وفهم الفرنسية والإسبانية، ووقف في مصافّ الأدباء والمشاهير في الأردن، والعالم العربي، والغربي، ينظم الشعر، ويؤلف، ويترجم، ويحاضر، ويشارك في المؤتمرات والندوات، ويكتب في الصحف والمجلات.

ولست بصدد الحديث عن شهرة عيسى الناعوري الأدبية التي طبقت الآفاق، فالمقام لا يتسع لذلك، فقد ألفت فيها الكتب وكتبت فيها البحوث والرسائل الجامعية، وعرفته الأوساط الأدبية والثقافية والأكاديمية العربية والعالمية، شاعراً وأديباً وكاتباً، وقاصّاً وناقداً وصحفياً، ومترجماً ناجحاً، وبلغت منشوراته ستين كتاباً مطبوعاً في القصة القصيرة، والرواية، والشعر والنقد الأدبي، والبحث والدراسة، والتراجم والسير، وأدب الأطفال، والأحداث التي مرت بها الأمة، والترجمة من اللغة العربية وإليها، وله كتب وبحوث بالإيطالية والإنجليزية، ومجموعة شعرية بالإيطالية غير مطبوعة، ومذكرات لم تنشر بعد.

وقد تُرجم كثير من نتاجه الأدبي إلى لغات عالمية عدّة، مثل الإيطالية والإسبانية، واليابانية، والروسية، والمجرية، والرومانية. وتقديراً لجهوده الأدبية وترجماته الرائعة من الإيطالية وإليها كرّمته جامعة باليرمو بإيطاليا بدكتوراه فخرية سنة 1976م، ويعدّ ثالث عربي يحصل عليها بعد طه حسين، وحسن عثمان، كما كرّمته بمثل هذه الدكتوراه الأكاديمية العالمية للفنون والثقافة تابييه/ الصين الوطنية سنة 1982م.

كان عيسى الناعوري صادقاً أميناً مخلصاً لعمله، فعندما تقلّد منصب الأمين العام للمجمع عام 1976م، لم يكن للمجمع مقرّ، فجعل من بيته المتواضع ومن مكتب الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة في قسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية – آنذاك- مقرّاً للمجمع، فكان يعمل في بيته وحده، يكتب القرارات والمراسلات والمكاتبات، ويطبعها على الآلة الكاتبة القديمة، ويحمل الملفات من بيته إلى الجامعة الأردنية، حيث يعقد مجلس المجمع والمكتب التنفيذي اجتماعاتهما، ويعود بها ثانية إلى بيته ليستكمل الإجراءات اللازمة، دون كلال أو ملل مدة سنة ونصف تقريباً حتى تيسر للمجمع مقرّ في عمارة مستأجرة بجبل الحسين.

وكان يحب عمله، ويتفانى في إتقانه، ويحرص على تأديته على أكمل وجه وأحسنه، فقد تولّى تحرير مجلة المجمع منذ العدد الأول إضافة إلى وظيفته، وقد وُجه إليه سؤال حول المحافظة على مستواها الأدبي والعلمي، مؤداه هل للناشئة من الأدباء نصيب للنشر فيها؟ فأجاب: إنني أحرص على مستوى المجلة كل الحرص؛ لأنها النافذة التي يطلّ بها المجمع على الثقافة في الأردن والخارج، وهذا أمر لا يُسمح للمحرر فيه أن يتصرف كما يشاء، وإنما هو أمانة مقدسة في عنقه... والأدباء الناشئون بحاجة إلى تشجيع على أن لا يكون على حساب مستوى المجلة الأدبي والفكري.....

ومن إخلاصه في عمله أنه لم يكن يتوانى عن أداء واجبه في خدمة المجمع، وخدمة اللغة العربية، وهو في أصعب الظروف الصحية، فقد قرر الأطباء إجراء عملية قلب مفتوح له في المدينة الطبية، فكان يتساءل من سيقوم بأداء مهامه، فقلت له: شفاك الله وعافاك، المهم أن تتعافى، والمجمع بخير، فقال: أعذرني إنني أرعى هذا المجمع كما أرعى واحداً من أولادي، فقد بدأت معه عضواً عاملاً ومؤسساً في مجلسه ومكتبه التنفيذي، وأميناً عاماً له، وأحب أن استمر في خدمته حتى آخر نفس في حياتي، فكان له ذلك حيث استقال من المجمع قبل وفاته بأيام معدودة.

وكان ينهج نهجاً مميزاً في الإدارة، يقوم على مبدأ لا تكن ليناً فتعصر، ولا يابساً فتكسر، ولو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. كان عدد موظفي المجمع قليلاً، وكان يعاملهم معاملة الأب لأبنائه، يجتمعون في مكتبه صباحاً، ويقدم لهم التوجيهات، ويحفّزهم على الإنجاز، ويقول لهم: الأمانة تقتضي أن يكون كل واحد منّا أميناً ومخلصاً إلى مجمعه، وأن نعمل جميعاً، ما وسعنا الجهد، لتحقيق أهدافه، وأن نلتزم بالانضباط في كل شيء، وكان قدوة لنا في ذلك، فما عهدناه تأخر يوماً عن الدوام، ولا خرج قبل انتهائه إلا لضرورة قصوى.

وخلاصة القول في أخلاقه أنه كان بطبعه سمحاً متسامحاً، بشوشاً لطيف المعشر، دمثاً متواضعاً، لا يحمل حقداً ولا ضغينة لأحد، بعيداً عن النفاق والرياء، هادئاً، وهي صفات واضحة لكل من عاشره، وتعامل معه، وعمل معه، كما أنها صفات تجسّدت في أدبه والمساجلات الأدبية في الصحف المحلية والعربية التي جرت بينه وبين عدد من الأدباء والمفكرين.

وفي الختام أقول: إن المجمع مدين له في كثير مما أنجزه وحققه في مراحل تأسيسه، وفي ذروة عطائه.

وأود أن أذيل مقالتي هذه بشهادتين عن عيسى الناعوري أولاهما للدكتور نبيل الشريف يقول فيها: (( كما أُحبّ في عيسى الناعوري تلك النزعة المنفتحة على العالم، الثائرة على الانغلاق، وهو لم يكتف برفض الانغلاق والتقوقع في كل كتاباته، ولكنه أضاء شمعة للتواصل الثقافي من خلال اهتمامه الكبير بالترجمة، خصوصاً عن الإيطالية))([[1]](#footnote-1)).

والثانية للأستاذ سليم الصويص، يقول: (( .... ولهذا فإن الخيار الوحيد الذي قبل به وأراده، هو أن يموت ثائراً متمرّداً، لا أن يحيا خاملاً مسحوقاً؛ ولهذا كان نضاله متعدد الجوانب، فكان نضالاً ضدّ الفقر.... ونضالاً ضد الجوع والبرد، ونضالاً ضدّ المرض، ونضالاً ضدّ مجتمع مغلق، وعادات بالية، وكان يدرك أن الطريق وعر وشاق، مليء بالأشواك والصخور، وأنه يعيش ليلاً لا يبدو أن له فجراً، ومع ذلك فإن شعله الحرية والنهوض لم تخبُ في نفسه، وظلّت تسطع إلى أن فتحت كوّة من الأمل، ولج فيها، فشقّ طريقه إلى أن صار أديباً أردنياً وعربياً ودولياً، يشار إليه بالبنان))([[2]](#footnote-2)).

1. . تيسير النجار، عيسى الناعوري كاتب أردني بنكهة عالمية، ط1، 1428هـ، 2007م، ص6. [↑](#footnote-ref-1)
2. . جامعة عمان الأهلية، أديبان من الأردن، حسني فريز وعيسى الناعوري، عمان 1993م، ص170. [↑](#footnote-ref-2)